" تَشَجَّعُوا. لا تَخَافُوا وَلا تَرْهَبُوا .. لا يُهْمِلُكَ وَلا يَتْرُكُكَ "

(تثنية 31)

مقدّمة

نرى هنا قلب موسى لا يتعب من تقديم النّصائح لبني إسرائيل , وبهذا يعدّهم لما هم قادمون عليه حتى يردأوا الخطر الكامن لهم . تذكّرنا هذه الكلمات بخطاب بولس الوداعي لأساقفة أفسس . والدّافع لذلك هو :

1) معرفتهم لمدى الخطر المحدق بهم وبعظم المسؤوليّة الملقاة على عاتقيهما .
2) ضرورة حفظ مصالح الآخرين
3) الحاجة الى كلمات صادقة وحيّه تحرّك أعماق القلب والضّمير . وبعد هذا خطاب موسى الوداعي المليء بالرّحمة والرّأفة .

(1)

"فَذَهَبَ مُوسَى وَكَلَمَ بِهَذِهِ ٱلكَلِمَاتِ جَمِيعَ إِسْرَائِيل..وَقَال لَهُمْ: «أَنَا ٱلْيَوْمَ ٱبْنُ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. لا أَسْتَطِيعُ ٱلْخُرُوجَ وَٱلدُّخُول بَعْدُ وَٱلرَّبُّ قَدْ قَال لِي: لا تَعْبُرُ هَذَا ٱلأُرْدُنَّ."

نرى هذا التوجّه الخطير لإثارة أحاسيس بني إسرائيل (ذكره للعمر وقضاء اللّه الرّهيب عليه) , واستعماله للعامل الأخلاقي ليسيروا بالطّاعة الكاملة للرب , فهدفه تحريك مشاعرهم وإنهاض هممهم .

(3)

"الرَّبُّ إِلهُكَ هُوَ عَابِرٌ قُدَّامَكَ. هُوَ يُبِيدُ هَؤُلاءِ ٱلأُمَمَ مِنْ قُدَّامِكَ فَتَرِثُهُمْ. يَشُوعُ عَابِرٌ قُدَّامَكَ كَمَا قَال ٱلرَّبُّ. ..وَيَفْعَلُ ٱلرَّبُّ بِهِمْ كَمَا فَعَل بِسِيحُونَ وَعُوجَ مَلِكَيِ ٱلأَمُورِيِّينَ ٱللذَيْنِ أَهْلَكَهُمَا وَبِأَرْضِهِمَا..فَمَتَى دَفَعَهُمُ ٱلرَّبُّ أَمَامَكُمْ تَفْعَلُونَ بِهِمْ حَسَبَ كُلِّ ٱلوَصَايَا ٱلتِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهَا. "

يشجّع قلوب بني إسرائيل ليسيروا بخطى ثابتة في طريق الخضوع والطّاعة الّذي هو سبيل : الإنتصار والبركة والسّلام . إنّ التّنبير على أنّ الرب يسير أمامنا يملأ قلوبنا سلاماً , فهو يمهّد الطّريق أمامنا ويزيل كل الصّعوبات . إنّ الرب نفسه سيبيد كل الأمم من امام بني إسرائيل . لم يكن الشّعب رعيّة بدون راع بل يشوع يسير أمامهم . يذكّرهم بالإنتصارات السّابقة ومدى رحمة الرب عليهم , نرى وصيّة الرب : 1) التشدّد 2) التشجّع 3) عدم الخوف 4) عدم الرّهبة 5) عدم الإهمال 6) عدم التّرك وكيف يكون كل هذا للمؤمن ؟ فقط بمسيرة الرب معه .

(6)

"تَشَدَّدُوا وَتَشَجَّعُوا. لا تَخَافُوا وَلا تَرْهَبُوا وُجُوهَهُمْ لأَنَّ ٱلرَّبَّ إِلهَكَ سَائِرٌ مَعَكَ. لا يُهْمِلُكَ وَلا يَتْرُكُكَ».

يا لها من كلمات ثمينة وغنيّة تنعش القلب وتسنده رغم كل الضّيقات والمخاوف :

1- شعورنا أنّ الرب يسير معنا .

2- تذكّر تعاملاته معنا في كل طرقه يشجعنا ويعطينا القوّة (إنّ الرب بيده قد إستأصل الأمم , أنظر (اَلْمَزَامِيرُ 44 :1- 3) اَللهُمَّ بِآذَانِنَا قَدْ سَمِعْنَا. آبَاؤُنَا أَخْبَرُونَا بِعَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي أَيَّامِهِمْ فِي أَيَّامِ ٱلْقِدَمِ. أَنْتَ بِيَدِكَ

آسْتَأْصَلْتَ آلأُمَمَ وَغَرَسْتَهُمْ. حَطَّمْتَ شُعُوباً وَمَدَدْتَهُمْ. لأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمِ آمْتَلَكُوا آلأَرْضَ وَلاَ ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ لَكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ لأَنَّكَ رَضِيتَ عَنْهُمْ "

يا لها من سخافة محاولة وضع اللّه بقفص الإتّهام وإطاحتنا بكل التّهم له بعدم الأمانة والعدل وإلخ ..

لقد وجه موسى كلمات تعزية ليشوع لسبب المهمة الصّعبة الّتي كانت بانتظاره .

كل هذا كان مبني على الوعد – صدق مواعيد اللّه – هذا هو سر النّجاح : " الرب سائر أمامك .. الرب معك .

(7)

" فَدَعَا مُوسَى يَشُوعَ وَقَال لهُ أَمَامَ أَعْيُنِ جَمِيعِ إِسْرَائِيل: «تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ لأَنَّكَ أَنْتَ تَدْخُلُ مَعَ هَذَا آلشَّعْبِ آلأَرْضَ آلتِي أَقْسَمَ آلرَّبُّ لآبَائِهِمْ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا. وَأَنْتَ تَقْسِمُهَا لهُمْ..وَالرَّبُّ سَائِرٌ أَمَامَكَ. هُوَ يَكُونُ مَعَكَ. لا يُهْمِلُكَ وَلا يَتْرُكُكَ. لا تَخَفْ وَلا تَرْتَعِبْ " .

يشكك بعض العلماء بصحّة نسب أسفار الكتاب الخمسة الأولى لموسى , ولكن كلمة اللّه تظهر لنا هذا الحق بوضوح , وإستأمن عليها الكهنة بني هارون ووضعوه بجنب (داخل) تابوت العهد – أقدس مكان – يا ليت نعطي الكلمة مكانها الأقدس حتى تسكن بغنى في قلوبنا .

لقد كان يشوع بحاجة خاصة الى كلمة تشجيع (لسبب دعوته ليكون القائد بعد موسى) والرب وعده بأن يسير أمامه بكل قوته وقدرته- وبهذا الوعد كل الكفاية و بغض النّظر عن كل المعوّقات والأخطار المحدقة به .

(9)

وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ آلتَّوْرَاةَ وَسَلمَهَا لِلكَهَنَةِ بَنِي لاوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ آلرَّبِّ وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيل. ..وَأَمَرَهُمْ مُوسَى: «فِي نِهَايَةِ آلسَّبْعِ آلسِّنِينَ فِي مِيعَادِ سَنَةِ آلإِبْرَاءِ فِي عِيدِ آلمَظَالِّ..حِينَمَا يَجِيءُ جَمِيعُ إِسْرَائِيل لِيَظْهَرُوا أَمَامَ آلرَّبِّ إِلهِكَ فِي آلمَكَانِ آلذِي يَخْتَارُهُ تَقْرَأُ هَذِهِ آلتَّوْرَاةَ أَمَامَ كُلِّ إِسْرَائِيل فِي مَسَامِعِهِمْ.. اِجْمَعِ آلشَّعْبَ آلرِّجَال وَآلنِّسَاءَ وَآلأَطْفَال وَآلغَرِيبَ آلذِي فِي أَبْوَابِكَ لِيَسْمَعُوا وَيَتَعَلمُوا أَنْ يَتَّقُوا آلرَّبَّ إِلهَكُمْ وَيَحْرِصُوا أَنْ يَعْمَلُوا بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ آلتَّوْرَاةِ..وَأَوْلادُهُمُ آلذِينَ لمْ يَعْرِفُوا يَسْمَعُونَ وَيَتَعَلمُونَ أَنْ يَتَّقُوا آلرَّبَّ إِلهَكُمْ كُل آلأَيَّامِ آلتِي تَحْيَوْنَ فِيهَا عَلى آلأَرْضِ آلتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ آلأُرْدُنَّ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكُوهَا"

1) كان على كل بني إسرائيل (رجال نساء أطفال غرباء) الإجتماع أمام اللّه لهدف سماع كلمته ويتعلّموا أن يتّقوا اللّه : يعرفوا إرادته المقدّسة وواجباتهم من نحوه .
2) سماع الأولاد لكلمة اللّه .لا يجوز إستبدال كلمة اللّه بأيّ مظهر من المظاهر الدينيّة المثيرة للحواس
3) قد يقول البعض بالإكتفاء بدرس كلمة اللّه بالبيت ولا ضرورة للإجتماع معاً ؟ يا ليت يكون شوق قلبنا التحلّق حول نبع الحياة للتعزية المشتركة والّتي لا يمكن الحصول عليها إلا بمحضر الرب مع جميع الّذين يدعون الرب من قلب نقي .
4) رغم وجود شوق للإنفعالات النّفسية الدينيّة والّتي تهاجم كثير من المؤمنين لتبعدهم عن درس الكتاب العميق والمتأنّي

(14)

وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «هُوَذَا أَيَّامُكَ قَدْ قَرُبَتْ لِتَمُوتَ. ٱدْعُ يَشُوعَ وَقِفَا فِي خَيْمَةِ ٱلاجْتِمَاعِ لِكَيْ أُوصِيَهُ». فَٱنْطَلَقَ مُوسَى وَيَشُوعُ وَوَقَفَا فِي خَيْمَةِ ٱلاجْتِمَاعِ ..فَتَرَاءَى ٱلرَّبُّ فِي ٱلْخَيْمَةِ فِي عَمُودِ سَحَابٍ وَوَقَفَ عَمُودُ ٱلسَّحَابِ عَلَى بَابِ ٱلْخَيْمَةِ. ...وَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «هَا أَنْتَ تَرْقُدُ مَعَ آبَائِكَ فَيَقُومُ هَذَا ٱلشَّعْبُ وَيَفْجُرُ وَرَاءَ آلِهَةِ ٱلأَجْنَبِيِّينَ فِي ٱلأَرْضِ ٱلَّتِي هُوَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا فِي مَا بَيْنَهُمْ وَيَتْرُكُنِي وَيَنْكُثُ عَهْدِي ٱلَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَهُ...فَيَشْتَعِلُ غَضَبِي عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَأَتْرُكُهُ وَأَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُ فَيَكُونُ مَأْكُلَةً وَتُصِيبُهُ شُرُورٌ كَثِيرَةٌ وَشَدَائِدُ حَتَّى يَقُولَ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ: أَمَا لأَنَّ إِلهِي لَيْسَ فِي وَسَطِي أَصَابَتْنِي هَذِهِ ٱلشُّرُورُ!.

قارنه أيضا مع مز 16

أعظم درس لمن يترك الرب هو :

الإبتعاد عن الرب والإتّكال على المصادر البشريّة سيؤول حتماً الى الحزن والكرب والضّيق – وهذا محقّق وأكيد ولا جدال فيه – دعونا جميعاً نلتصق بالرّب ونترك كل غرض آخر . إنّه من إحسانات الرب أن يكشف لأحبّائه موعد إقتراب إنتقالهم إليه (بطرس وخلع مسكنه) . هذا هو الإنسان بكل التّدابير الّتي أوجده فيها اللّه – فساد وخراب الطّبيعة البشريّة .

(18)

"وَأَنَا أَحْجُبُ وَجْهِي فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ لأَجْلِ جَمِيعِ ٱلشَّرِّ ٱلَّذِي عَمِلَهُ إِذِ ٱلْتَفَتَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى..فَالآنَ ٱكْتُبُوا لأَنْفُسِكُمْ هَذَا ٱلنَّشِيدَ وَعَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ. ضَعْهُ فِي أَفْوَاهِهِمْ لِيَكُونَ لِي هَذَا ٱلنَّشِيدُ شَاهِداً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ..لأَنِّي أُدْخِلُهُمُ ٱلأَرْضَ ٱلَّتِي أَقْسَمْتُ لآبَائِهِمِ ٱلْفَائِضَةَ لَبَناً وَعَسَلاً فَيَأْكُلُونَ وَيَشْبَعُونَ وَيَسْمَنُونَ ثُمَّ يَلْتَفِتُونَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى وَيَعْبُدُونَهَا وَيَزْدَرُونَ بِي وَيَنْكُثُونَ عَهْدِي..فَمَتَى أَصَابَتْهُ شُرُورٌ كَثِيرَةٌ وَشَدَائِدُ يُجَاوِبُ هَذَا ٱلنَّشِيدُ أَمَامَهُ شَاهِداً لأَنَّهُ لا يُنْسَى مِنْ أَفْوَاهِ نَسْلِهِ. إِنِّي عَرَفْتُ فِكْرَهُ ٱلَّذِي يُفَكِّرُ بِهِ ٱلْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ أُدْخِلَهُ إِلَى ٱلأَرْضِ كَمَا أَقْسَمْتُ"

بدل أن يأخذ إسرائيل مركز الشّاهد للرب , نوراً للأمم , , نرى نشيد موسى يصير هو الشّاهد ضد بني إسرائيل الّذين فشلوا وسقطوا سقوطاً ذريعاً ومخجلاً !

الكثير من البركات والنّعم الّتي يجزلها علينا الرب (فيض اللبن والعسل) تبعدنا بعد ذلك عن الرب لتحوّلنا الى ألهة أخرى وإزدراء قيمة عمل اللّه وقوّته الرّفيعة للخلاص والحنث بالوعد المقدّس للعيش كأمّة مختاره – إنّ أللّه يعرف كل أفكار البشر لكن هذا لا يلغي مسؤوليّتهم .

(22)

" فَكَتَبَ مُوسَى هَذَا ٱلنَّشِيدَ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ وَعَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِيَّاهُ. 23وَأَوْصَى يَشُوعَ بْنَ نُونَ وَقَالَ: «تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ لأَنَّكَ أَنْتَ تَدْخُلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلأَرْضَ ٱلَّتِي أَقْسَمْتُ لَهُمْ عَنْهَا وَأَنَا أَكُونُ مَعَكَ" .

إنّ نظر الخادم الى الجّماعة وأحوالها وما قد يصيبها في المستقبل كفيل بأن يثبط الهمم ويخوّر العزائم بل يجب تثبيت النّظر على الرب بالإيمان وإعطاء المجد كله للّه , متقدّماً دائماً قدماً بإتّكاله على القدير . ليتأكّد الخادم

أنّ تقصيرشعبه لا يلغي مواعيد اللّه وتنفيذها وتمجيد إسمه . كان يشوع مطالب بوضع أنظاره على وعد الرب لإبراهيم – ذلك الوعد الرّاسخ .

هذا هو الإيمان الثّمين الّذي يحفظ نفس الانسان ويمجّد اللّه !

(24)

"عِنْدَمَا كَمَّلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هَذِهِ ٱلتَّوْرَاةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا ..أَمَرَ مُوسَى ٱللاوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ ٱلرَّبِّ: ..خُذُوا كِتَابَ ٱلتَّوْرَاةِ هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ ٱلرَّبِّ إِلهِكُمْ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِداً عَلَيْكُمْ...لأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدَكُمْ وَرِقَابَكُمُ ٱلصُّلْبَةَ. هُوَذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ ٱلرَّبَّ فَكَمْ بِالحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي! ..اِجْمَعُوا إِلَيَّ كُل شُيُوخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءَكُمْ لأَنْطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهَذِهِ ٱلكَلِمَاتِ وَأُشْهِدَ عَلَيْهِمِ ٱلسَّمَاءَ وَٱلأَرْضَ..لأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسُدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ ٱلطَّرِيقِ ٱلذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ وَيُصِيبُكُمُ ٱلشَّرُّ فِي آخِرِ ٱلأَيَّامِ لأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ ٱلشَّرَّ أَمَامَ ٱلرَّبِّ حَتَّى تُغِيظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ"

هذه نفس أقوال بولس الختاميّة الموجّهة الى شيوخ كنيسة أفسس (أع 20 : 29 – 32) .

(أَعْمَال 20 :29- 32) لأَنِّي أَعْلَمُ هَذَا: أَنَّهُ بَعْدَ ذِهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ لاَ تُشْفِقُ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا ٱلتَّلاَمِيذَ وَرَاءَهُمْ. لِذَلِكَ اُسْهَرُوا مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلاَثَ سِنِينَ لَيْلاً وَنَهَاراً لَمْ أَفْتُرْ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعٍ كُلَّ وَاحِدٍ. وَالآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي لِلَّهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ ٱلْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثاً مَعَ جَمِيعِ ٱلْمُقَدَّسِينَ.

الإنسان هو الإنسان في كل مكان وزمان وتاريخه أسود من أوّله لآخره . رغم فشل الإنسان نرى كلمة اللّه ثابتة الى الأبد وتشهد ضد فساد الإنسان وتبعث بقلبه الثّقة واليقين باللّه رغم ضعفه .

سبيل ضياع المؤمن : 1) التمرّد – رفض ناموس اللّه 2) تصليب الرّقبة – عدم قبول نير اللّه . 3) المقاومة لخطّة اللّه 4) الفساد : بالسّلوك 5) الزيغان : عن الحق . 6) عمل الشر أمام اللّه 7) إغاظة اللّه كمال الإبتعاد .